هناك على حسب اعتبارهم لكان القوم اعلى من رتبة الناس ولكن تلك المدنية كما قلنا انما هي مدنية صورية وانت لاتصل الى طرف من صريحها حتى تخوض اليه اطرافاً من الرغوة الفارغة والزبد الكاذب . ونعم ان باريز وامثالها كما قلنا فيما مضى مجمع الفضائل ومنبعث الحكمة والرشاد ولكن ذلك من الافراد المشتغلين به واللائذين اليه وليس هو من مجموع الشعب وكل بنيه بل ان ارباب الفضل انفسهم في تلك البلاد قد عرفوا ما في مدنهم العظمى من مبعدات المدنية الحقيقية والتهذيب الصحيح ولذلك اقصوا اولادهم عنها مااستطاعوا وجعلوهم حيث يتعلمون العلم فقط لاسواه ومن شاء الدليل على ان المدنية الصحيحة لاتكون في المدن الكبرى فلينظر الى اكابر العالم ورجال العقل والسداد فيه يجد اكثرهم بل كلهم من اهل القرى والمزارع ولدينا الآن جماعة من قواد الفضائل والعلوم فينا لو بحثنا عن اصولهم ومنابت اعراقهم لوجدناهم كلهم من غير اهل المدن واذا اتفق ان كان احدهم ابن مدينة فذلك انما يكون منها وكانه ليس فيها

وعلى الاطلاق فان مدنية الغرب ليست في درجة النفع التي يتصورها الكثيرون من بني الشرق بل هي مدنية قد اشتد بياضها حتى صار برصاً ولذلك اخذت الطبيعة ترجع بهم الى مستقرها الذي نفروا عنه ونحن بني الشرق بين رجال ونساء اذا احببنا التشبه بالغربيين فليكن ذلك منا في تقليد الحالة التي يهمون بالرجوع اليها وليس في الحالة التي صاروا فيها اوالتي اقدموا عليها وانا متى جرينا على ذلك فقد امنا الشر والضرر ورحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر

﴿ فائدة التنبه ﴾

ان مساواة علم المرء لبصره في كل مايعرض له من المنظورات لمن الحالات التي لا تتهيأ لانسان وذلك لما في الدنيا من كثرة الموجودات ولما لكل موجود من الحالات الخاصة به ولكن بكثرة ذلك وقلته تتباين مراتب الناس في العقول والافهام فترى البعض اذا نظروا الى شيء عرفوا في الحال حقيقة ماهو فالتقى نظرهم وعلمهم معاً وترى الكثيرين تبدو لهم الصور فلا يرونها الا رؤية مجردة فقط دون ان يكون لها من اذهانهم اقل اشتغال وهذا التباين ليس كله بالطبيعي في الانسان فيخلق فلان اذا رأى شيئاً علم ماهو وفلان يراه دون ان يعلم منه شيئاً بل هو يحصل من الاجتهاد وتطلب المعرفة ومن نقيضيهما الخمول وعدم المبالاة والاستبصار ولكن لو عود كل انسان منذ صغره ان يتنبه لكل مايبصره لكان على علم كثير من حقائق عديدة ينفعه العلم بها دون ان يتكلف لتحصيلها شيئاً من العناء

ولقد يقال ان منظورات الوجود لاتحصى ومحال ان يتهيأ لكل انسان اذا رأى شيئاً ان يوكل به ذهنه ليدري حقيقته . ونعم ان الموجودات لاتعد ولكن شتان بين من ينظر ويدري بعض مانظر وبين من ينظر ولا يدري مما نظر شيئاً ولذلك كان الاولى بكل انسان ان يجيل بعض فكره حيث يجيل كل بصره فانه يستفيد من مجموع هذه الحقائق الجزئية فائدة تعينه عوناً كبيراً في اثناء الحياة

على انه ليس شرطاً على كل انسان اذا رأى شيئاً ان يوجه اليه ذهنه حتى

يدريه فانه قد يبدو لنا الزجاج مثلاً فنراه دون ان نعلم منه شيئاً واذا اردنا ان ندري ما هو وكيف كان وركب فقد صار التماسنا ذلك من قبيل التعلم وليس من قبيل التنبه الذي نشير اليه وكذلك فاننا نرى الشمس والقمر والكواكب واكثرنا لا يعلم من كنهها شيئاً ولكن ذلك لا نطالب به ولا يعد تقصيراً منا اذا رأيناه ولم نعلم به بل التقصير يكون حيث نرى ولا ننتبه لما رأينا فان الشمس تكسف والقمر يخسف واكثرنا لا ينظر اليها الا كما ينظر الى الشمس غاربة والقمر ملتحفاً بالسحاب مع ان حالتي الكسوف والخسوف ليستا من الاحوال التي تعرض كل يوم حتى لا يشتغل بها الا النظر فقط دون الفكر

ولا يظن احد ان هذا الشأن جزئيّ وان اغفاله وعدم التنبه فيه ليس بالامر الكبير بل هو كبير بالاضافة الى مجموع تلك الحقائق الكثيرة حين تعلم وكبير جداً حين يكون الاحتياج الى معرفة بعضها ضرورياً لدى الانسان فانت ترى الواحد منا يبدو لنظره الشيء ويتفق ان يكون قد جال فكره فيه مع نظره فيقف لديه حائراً متأملاً لما بدا له من بعض خفاياه مع ان ذلك الشيء يكون لديه كل حين بل في كل ساعة ولكنه لم يتعود التنبه اليه بل هذه الساعة الآلية فاننا نحملها في جيوبنا على الدوام ونفتحها كل يوم مراراً عديدة ولكن يندر جداً من يتنبه الى ساعته او يدري شيئاً من ادنى خفاياها التي يجب ان تعلم بل هذه النقود وهي بين ايدينا على الدوام (ان شاء الله) ونحن على كثرة نقدنا للدراهم لنعرف زيفها من صحيحها فانه قل من يتنبه الى شيء من كيفية الدرهم بل كثيرون منا لا يدرون طغراءه ولا يعرفون المكتوب فيه بحيث لو لم يكن لدينا درهم مصري مثلاً وطلب منا غريب ان

نبين له كيفية درهم بلادنا لاعجزنا ذلك لاننا لم نتنبه من قبل الى الدرهم حتى يرتسم شكله في ذهننا وقس على هذه الجزئيات كثيراً مثلها ترَ ان في جهل بعضها تقصيراً لا يغتفر وقد جاء كله من عدم التنبه فقط دون اعواز شيء قط من علم او حسن نظر وتبصر

ومما قد يعرفه القراء متعلقاً بهذا الشأن ان مصوراً ماهراً صور سنبلة مستوية على ساقها وقد وقع عليها عصفور فجاءت صورة في غاية الاتقان وحسن الصنعة فعرضها على اهل فنه وذوي علمه فاقبلوا عليها يوسعونها نقداً حتى اطمأنت لدى انظارهم على اتم مايكون وكان حكمهم انه لا عيب فيها ثم بينما هم كذلك اذ مر بهم فلاح فقال لهم انها ذات عيب يفسد كل حسنها واتقانها وذلك لان العصفور واقع على السنبلة ثم هي قائمة مستوية وهذا محال بل لا بد لها ان تنحني قليلاً من ثقل العصفور فبهت السامعون لانتقاده المصيب واسقط في يد المصور لعدم تنبهه الى هذه الحالة البسيطة مع انه ولا شك قد نظر مئات من السنابل قبل ان يصور سنبلته ورأى عصافير كثيرة تقع عليها

ومن قبيل ذلك ان صانعاً اراد صنع تمثال لديك يصيح وكانت هيئة الديك مصورة في ذهنه لكثرة ما رآه ولكنه لم يكن يدري هل يبدي الديك لسانه حين يصيح اولا وكان في معمله جمهور عديد من الصناع فسألهم كلهم عن هذه الحالة فما عرفها احد وعجبوا جداً لانهم ما عرفوها على طول رؤيتهم الديك صائحاً ولذلك اضطر ان يقضي مدة طويلة يبحث فيها عن ديك يصيح حتى اتم عمله

ولقد تنبه الى هذا الشأن احد المعلمين فاراد ان يمتحن تلامذته فيه ليرى

مبلغ تنبههم الى المنظورات فسألهم عن اذني البقرة هل تكونان من امام او وراء او فوق وكان التلامذة مئة فما اجاب بالصحيح منهم الا اثنان فقط مع ان الجميع من اولاد القرى وقد رأوا البقر كل مدتهم وبذلك تبين له ان عدم التنبه انما يكون غالباً في الموجودات التي تبدو كثيراً للانظار حتى لانهم ناظرها الا بجملتها دون تفصيلها وهو اعتبار صحيح اذ كلنا كذلك

الا ان هذا النقص ليس بالعسير التلافي بل هو سهل ولا سيما لدى الاولاد فان الصغير الذي لا يشغل ذهنه لو اشير عليه بالتنبه في منزله او مدرسته لكل مايبدو لعينه وحمل على ذلك حملاً بالامتحان والتجريب فانه يشب واعياً لاكثر الحقائق الخفية ولو كانت صغيرة حتى تكون له عوناً كبيراً في حالتيه المادية والادبية

وهذا الفصل الذي عقدناه الآن وان كان جزئياً فانما هو من جملة تلك الجزئيات التي اشرنا اليها ولذلك ننبه القارئين لما فيه من الدعوة الى التنبه فانه يصبح غير جزئي حين اعتبارهم به كما ان تلك الجزئيات لو تنبهوا اليها لرأوا ان بعضها ينفعهم نفع الكمال حين حاجتهم اليه

الشعر العصري

٨

المقدمة

وفيما ذكرنا من حيث اخت عمرو بن ود متأمل الى ارتقاء ادب المرأة في العصور الخوالي وعلو همتها وسمو رتبتها فرعى الله هاتيك الفضائل العربية التي نبت نبعها بين تلك الصخور الجلامد فاينع وزكا واثمر كالذي ترى وقديماً قيل

والنبع يوجد بين الصخر منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

فلا يذهبن القارىء الكريم الى ما ذهب اليه البحتري فيقول ان النبع ليس بمثمر ولا يرين رأي ابي العلاء المعري رحمه الله اذ يقول مخطئاً ايا عبادة وقال الوليد النبع ليس بمثمر واخطأ سربُ الوحش من ثمر النبع

كلا ان ذلك النبع الذي ذكرت انما كان ثمره هذه المحامد التي ترى باهر سناها وتنشق عاطر شذاها وحسب هذه الشاعرة دليلاً على حسن ادبها وكرم نفسها وسلامة ذوقها انها لم تقنع بكتمان حزنها على اخيها وابداء شدة جلدها لقتله ولكنها اخذت في مديح قاتله والابانة عن فضائله كالذي أثقل بفواضله واوقر بعطاياه ونوافله وما دلت بذلك الا على فضلها ولا اشارت الا الى نخامة قدر اخيها فحيّ الله ذلك الادب العربي الشريف وسقى هاتيك المعاهد الكريمة. ولا بأس علينا اذا اوردنا هنا بعض ما رأينا من شعر عمرو دلالة على ادبه واقدامه قال يدعو المسلمين الى البراز وهو في الخندق